فعلاً بعد استقراء دقيق للتجربة العروبية أن نقول أن المعركة تؤدي إلى «اسقاط الصغائر والحساسيات».. لا نظن ذلك، والواقع القريب يشكل أكثر من برهان. ويقول بشور أيضا: «... وكما أنه لا يمكن لثورة فلسطينية حقيقية أن ترى مستقبلها الظافر واكتمال دورها التاريخي، وتحقيق أهدافها الوطنية والقومية خارج حركة الوحدة العربية، فان أي وحدة عربية حقيقية لا يمكن أن تتحول الى اطار احتواء أو وصاية على النضال الفلسطيني، لان احتواء الثورة الفلسطينية والوصاية عليها هما حاجة الضعفاء، الخائفين من وهج الثورة واشعاعها وتفاعلاتها، الحريصين على مراعاة القوى الخارجية، بينما الوحدة تساوي القوة والمنعة والثقة بالنفس والاستقلال المتعاظم عن الارادة الأجنبية» (المصدر نفسه). فكيف توصل بشور إلى هذه «الضمانة»؟ انه هنا يتحدث عن ما ينبغي أن يكون، دون أن يتحدث عن ما يحتمل أن يكون، أو ما قد لا يكون إلا عكس ما ينبغي أن يكون.

.. لقد استطاع فيصل حوراني في اثارته لقضايا كثيرة، بالغة الحساسية، أن يحرم من يرغب في الرد عليه، ناقداً، من نعمة السهولة، لانه من الصعب التصدي لطروحاته، المسلحة بادوات البحث الاكاديمي الدقيق، بمجموعة من النتائج والبديهيات النسبية (!) والشعارات.

مؤنس منيف الرزّاز

جراح الفيافي على عدم تشرد الحلم

حيدر حيدر، التموجات، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠، ١٨٨ صفحة

«التموجات» لحيدر حيدر، رواية أصّر المؤلف على اعتبارها «قصتان» كما جاء في الغلاف مع أنني وجدتها رواية حقيقية، لا تنقصها لا اللحمة ولا السدى.

وهي كرواية، أو كقصتين كما شاء المؤلف أن يسميها، تتجاوز غالبية نتاجه السابق، إن لم نقل كله، ليس من ناحية الجودة والاتقان، ولكن من ناحية الصدق والدفء المتدفق في شرايينها. وهي، بشكل خاص، تحكي عذابات الفنان، مطلق فنان، وهو يعاني من مرارة القهر والتشرد والمنفى، مرارة الرعب الكامن في الأعماق، من طلقة تفاجئه في ظلام الليل أو رأد الضحى، فتسكت كل ما كان يود قوله، قبل أن يودّع دنيا العذابات التي يعيشها.

أكثر ما يخشاه القابضون على زمام الامور، في قارة ما ، لما تكتشف بعد، هو الكلمة، صدقها وحرارتها، خاصة إذا كانت مغسلة بالدم، نزفا أو رسيسا. لان جاهل الشيء عدوه، وما أكثر الجهلة فيما بينهم. ولهذا فهم لا يغفرون لصاحب الكلمة. يخافون حتى من صمته.

ما أقسى ألا يسمح لك حتى بالصمت في دنيا الله الواسعة!.. «التموجات» تعالج عمليا القضية الفلسطينية في زمنها الراهن، ولا بد وأنها تحيط، بلغة هي أقرب إلى الرمز الواضح، بعض امتداداتها وآثارها عربيا. وهو رمز لا يخفى على القارئ، نصف الأريب...